

الفصل الخامس عشر

القواعد الأساسية في التربية الإسلامية

obeykandi.com

سنوضح الآن القواعد الأساسية للتدريس للأطفال في التربية الإسلامية بأقوال بعض العلماء من المسلمين كالغزالي وابن سينا والزرنوجي والعبدري وابن خلدون :

١ - عدم تحديد السن لبدء التعليم :

لم تحدد سن لبدء تعليم الأطفال : فكان بعض الآباء يرسلون أولادهم للتعليم آونة في الخامسة من عمرهم وأحيانا في السادسة أو السابعة ولم تلزمهم الحكومة بارسالهم في سن معينة فقد كان طلب العلم في الإسلام فرضا على كل مسلم ومسلمة . وقد ترك للآباء اختيار الوقت المناسب لارسال أولادهم الى الكتاتيب أو غيرها للتعليم .

وقد انتقد العبدري في كتابه مدخل الشرع الشريف (١) - الآباء الذين يرسلون أبناءهم الى الكتاتيب قبل السنة السابعة من العمر قائلا ان السلف الصالح كانوا يرسلون أبناءهم الى الكتاب في سن السابعة وهي السن التي يكلف فيها أولياء الأمور تعليم الأولاد الصلاة والفضائل من الاخلاق . ولكن الأطفال يذهبون الآن للتعليم في سن مبكرة . فليحذر المدرس من تعليمهم القراءة في سن مبكرة لان تعليمهم المبكر في الرابعة أو الخامسة يرهقهم جسديا وعقليا . والواقع أن الآباء يرسلون أطفالهم الى المدارس والكتاتيب مبكرين لا يقصدون تعليمهم القراءة والكتابة ولكنهم يريدون التخلص من متاعبهم بابعادهم عن الدار أو البيت .

وان التربية الحديثة اليوم تؤيد ما رآه العبدري من علماء الإسلام قديما في نقد التبكير في ارسال الأطفال الى المدرسة في سن الرابعة أو الخامسة . واذا أرسلوا في تلك السن فانهم يرسلون الى رياض الأطفال ليلعبوا ويتعلموا بطريقة اللعب في التربية .

٢ - عدم تحديد المدة التي يمكثها الطفل في الكتاب :

لم تكن هناك مدة محدودة يمكثها الطفل للتعليم في الكتاب فقد كان الطفل يرسل الى المكتب فيتعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم يأخذ في حفظ السور القصيرة من القرآن فيحفظ جزء عم ثم جزء تبارك

(١) ج ٢ ص ١٦٣ .

بالترتيب ثم يستمر في حفظه حتى يحفظ بعضه أو كله وقد يستمر الصبي في الكتاب الى سن المراهقة . ويتعلم دروس الدين وبعض الاحاديث ويدرس في الوقت نفسه الحساب والنحو والشعر .

٣ - التفرقة في الطريقة التي تتبع في التعليم فطريقة التدريس للأطفال تختلف عن الطريقة التي تتبع في التدريس للكبار . وقد نادى الفزالي بذلك المبدأ لان هناك فرقاً بين ادراك الصغار وادراك الكبار وقال : ان من اول واجبات المربي ان يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لان الموضوعات الصعبة تؤدي الى ارتبائه العقلى وتنفره من المعلم، وبعد هذا الراى من أهم الآراء في التربية الحديثة في القرن العشرين .

ويشاركه العلامة ابن خلدون في هذا المبدأ فهو يرى أيضاً مراعاة ادراك الطفل ومستواه عند التدريس له حيث يقول : « وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذى أدركنا . يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون للمتعليم في أول تعليمه المسائل المقفلة من العلم ويطالبون ذهنه يحلها ويحسبون ذلك مرانة على التعليم وصواباً فيه . . . فان قبول العلم والاستعداد له ينشأ تدريجياً فيكون المتعلم أول الامر عاجزاً عن الفهم بالجملة الا الأقل وعلى سبيل التقرب والاجمال بالامثلة الحسية ثم لايزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكة في الاستعداد ثم التحصيل . . » فالفزالي وابن خلدون وغيرهما يرون ان تفكير الطفل يخالف تفكير الرجل ويجب مراعاة ذلك في طريقة التدريس » .

٤ - الا يخطط المعلم علمين معا :

لكي يضمن تيسير عمل المدرس يرى ابن خلدون « الا يخطط المعلم علمين معا فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى تفهم الآخر . . ومعنى هذا انه يجب ان يكون المدرس مدرس مادة يتخصص فيها حتى يجيدها .

٥ - العناية بالامثلة المحسة لتقريب المعنى الى اذهان الاطفال وهو مايقصده علماء التربية من مناداتهم بالانتقال من الامور المحسة الى المعقولة حتى يسهل على المتعلمين الفهم والادراك .

٦ - مراعاة ميول الاطفال لبعض المواد الدراسية حتى يسهل عليهم فهمها . وقد بين ابن خلدون مطالبة الاطفال بدراسة المسائل الصعبة

التي فوق مداركهم تؤدي الى اجهادهم اجهادا عقليا والى كراهيتهم الدائمة للتعلم والتعلم ونادى بأن تكون المادة مناسبة في سهولتها وصعوبتها لادراك الطفل . وانتقد من كانوا يقولون بتقديم المواد الصعبة للطفل ظانين ان ذلك يساعد في تقوية تفكيره . وهذا ما يريده علماء التربية اليوم من قولهم : « الانتقال من السهل الى الصعب » .

فابن خلدون يتفق مع فلاسفة التربية الحديثة الذين يطالبون بمراعاة ميول الطفل وجعلها اساسا لتعليمه وينادون بأن نجاح الطفل في أى عمل يساعد على النجاح في غيره من الاعمال لان النجاح يؤدي الى النجاح ، وان مايساعده على النجاح . . يشبع ماله من ميل فطري الى حب التقدم والسيطرة .

فاذا كانت الدروس صعبة والمواد فوق مستواه صعب على الطفل فهمها وضاعت ثقته بنفسه لانه لم يجد الغذاء العقلي المناسب لنموه وتقدمه .

ولايمكننا هنا ان ننسى ما أظهره ابن خلدون من الآراء النفسية والملاحظات الدقيقة الخاصة بمراحل النمو وهي لا تختلف مطلقا عن آراء علماء النفس في عصرنا الحاضر فقد بين ماتمتاز به مرحلة الطفولة من الطاعة والهدوء والاستقرار ولهذا عنيت التربية الاسلامية في هذه المرحلة بالحفظ والاستظهار والاعادة والتكرار والانتفاع بما لدى الطفل من استعدادات ووضع ماتمتاز به مرحلة البلوغ والمراهقة من الميل الشديد الى الحرية والاستقلال في العمل وكره القيود والعبودية .

٧ - البدء بتعلم اللغة العربية ثم دراسة القرآن الكريم .

حينما اختلط العرب بغيرهم من المسلمين فسدت اللغة العربية وكثر الخطأ واللحن ولهذا نادى القاضي أبو بكر بن العربي بالبدء بتعليم اللغة العربية وتقديمها على غيرها من المواد ثم الانتقال الى دراسة القرآن الكريم لان دراسته تسهل بعد معرفة اللغة العربية وقد وافقه ابن خلدون على هذا الرأي قائلا أما ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في اول عهده بالتعليم فيقرأ ما لا يفهم فأمر يدل على الغفلة (١) .

فابن خلدون يرى مراعاة ادراك الطفل وفهمه ويطالبه بقراءة

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٩٤ .

ما يستطيع أن يفهم وتعلم ما يمكنه أن يدركه . ويعترف ابن خلدون بصواب طريقة أبي بكر بن العربي ولكنه لا ينصح باتباعها لان « العادات لا تساعد عليها » فقد كان المسلمون يبكرون بدراسة القرآن الكريم وحفظه ويزودون الطفل بكل ما يستطيع أن يحفظه في الصغر من القرآن للتبرك به خوفا من أن يحدث له شيء في شبابه يقطعه عن العلم فيفوته القرآن . ولهذا كانوا ينتهزون الفرصة في الطفولة ويكلفونه البدء بحفظ القرآن خوفا من أن يذهب وهو خال منه .

فهذه الرغبة في التبرك بالقرآن الكريم وشدة التعلق به والخوف من ضياع الفرصة في حفظه في الطفولة تغلبت على مبدأ في التربية نادى به ابن خلدون وهو : تعليم الطفل ما يستطيع فهمه ويناسب ادراكه ويشبع ميوله ورغباته وحاجاته .

٨ - مراعاة استعدادات الصبي الفطرية وغرائزه الطبيعية في ارشاده الى المهنة .

لقد طالب علماء التربية الاسلامية وخاصة ابن سينا بمراعاة ميول المتعلم واستعداداته الفطرية وقدراته الطبيعية عند ارشاده الى المهنة التي يختارها في مستقبل حياته لخدمة بلاده . وقد نادى ابن سينا بالعناية بدراسة ميول الصبي وجعلها أساسا لارشاده وتربيته حيث قال : « ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ولكن ما شاكل طبعه وناسبه وانه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة والملاءمة ما كان أحد غفلا من الادب وعاريا من صناعة . واذن لأجمع الناس كلهم على اختيار اشرف الآداب وارفع الصناعات وربما نافر طباع الانسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء . . . ولذلك ينبغي لمدير الصبي اذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكاءه فيختار له الصناعات بحسب ذلك » .

وهي نصيحة ثمينة لابن سينا ينصح فيها المربين من الآباء والمعلمين الذين يرومون اختيار صناعة من الصناعات لصبي من الصبيان أن يزنوا طبع الصبي أو ميله ويعرفوه ويختبروا قريحته وعقله وذكاءه حتى يختاروا له من الصناعات ما يناسب ميله وعقله وهذا رأى من ائمن الآراء في التربية الاسلامية يتفق مع أحدث الاتجاهات في التربية الحديثة . فهو يرى أن من الواجب البحث عما يناسب ميول الصبي وطباعه وغرائزه

ومراعاتها في اختيار ما يرغب التخصص به في المستقبل فإذا كان يميل الى الدراسة الدينية وجه اليها وإذا رغب في الناحية العملية شجع عليها وإذا أحب الدراسة العقلية أو العلمية أرشد اليها وأعطى الفرصة في دراسة ما يريد . وهذا ما ننادى به اليوم في عالم التربية .

فمن كان يميل بطبيعته الى الادب والدراسة الادبية لا يستطيع ان يكون فائقا في البحوث العلمية . ومن كان يميل الى العلوم الرياضية لا يمكنه ان يتفوق في الآداب . وليس من السهل ان يظهر المتعلم التفوق والنبوغ والمهارة في كل مادة يدرسها ولكنه يستطيع ان يتفوق وينبغ ويكون ماهرا في المواد التي يحبها ويميل الى دراستها . أما المواد التي يكرها وينفر منها فمن المحال ان يتفوق فيها . فكل متعلم ميسر لما خلق له . وهذا ما يريده ابن سينا بقوله : وربما نافر طباع الانسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشيء ولو كان من السهل ان يحقق المتعلم كل ما يبتغي لكان أديبا أو عالما أو رياضيا أو طبيا كما أراد ولكن ميول الشخص وذكاؤه وعقليته هي التي تحكم في فوزه أو خيبته وتؤثر في نجاحه أو اخفاقه .

وقد عني عبد الرحمن بن الجوزي « المتوفى سنة ٥٩٧ هـ » كل العناية بتوضيح أهمية الاستعدادات الفطرية التي لدى الصبي ومراعاتها في التدريس حيث قال : ان الرياضة لا تصلح الا في نجيب والكودن (١) لا تنفعه الرياضة . والسبع وان ربي صغيرا لا يترك الافتراس . ومعنى هذا ان للذكاء والغبابة اثرا كبيرا في نجاح المتعلم او اخفاقه في الناحية العلمية وان النجيب الذكي يصلح للرياضة ويستطيع ان يدرسها ويتفوق في دراستها وان الكودن وهو البليد الغبي ، لا تنفعه الرياضة ولا يمكنه ان ينجح في المواد التي تحتاج الى نجابة وذكاء ولا يستطيع ان يتفوق فيها والسبع مفترس بفطرته ولن تحوله التربية من حيوان مفترس الى حيوان اليف هاديء وديع لا يضرب احدا . لان الطبع يقلب التطبع . قال الشاعر العربي .

إذا ما المرء لم يولد لبيبا فليس بنافع قدم الولادة

وهو يريد بهذا أن الانسان اذا لم يولد ذكيا فان قدم الولادة اي كبر السن لن ينفعه ولن يؤثر فيه . واذا رزق احد الاغنياء والأثرياء طفلا في منتهى الغباوة فلن يستطيع بغناه وثروته وعنايته بتربيته

(١) الكودن : الفرس الهجين والفيل والبغل والبرذون .

واحضاره احسن المربين له أن يحوله من غبى الى ذكى أو فائق الذكاء (١) فالذكاء وراثي وهو هبة فطرية من الله بها يستطيع الانسان أن يحل مايعترضه من المشكلات في الحياة . وان النسبة الذكائية للشخص الواحد محدودة لا تزيد ولا تنقص بالتربية فالذكى ذكى بفطرته والغبى غبى بطبيعته فالذكى وهو طفل ذكى وهو رجل ، والغبى فى طفولته غبى فى رجولته .

وقد أوصى الزرنوجى فى كتابه : «تعليم المتعلم» ألا يختار الطالب وحده المادة التى يريد أن يتخصص بدراستها بل يشترك معه المدرس بما أوتى من خبرة وتجربة فى اختيار مايلائمه من العلوم . وليس لدينا مايمنع من أن يختار الطالب المواد التى يميل اليها مسترشدا برأي استاذة فى الاختيار بشرط ألا تهمل ميول الطالب من الناحية العلمية .

هذه الآراء كلها ثمينة تدل على عظمة فلاسفة الاسلام وماكان لديهم من أفكار ناضجة فى تربية الطفل ونفسيته والوراثة والاستعدادات الفطرية والميول الطبيعية فى وقت كانت العقول فيه مفلقة والآراء فجة .

٩ - اللعب والترويح عن النفس :

لقد أحس علماء التربية الاسلامية بأن الطفل فى حاجة الى اللعب والترويح عن النفس بعد الانتهاء من دروسه . فحجرة الدراسة كان يسودها الهدوء والاصفاء للدرس والسكون ومحاولة التعلم فكان الطفل يشعر بالملل والتعب والحاجة الى الراحة والحركة والترويح عن النفس. لهذا كانوا يسمحون للطفل خارج حجرة الدراسة بالكلام والحركة والنشاط والمرح واللعب ليروح عن نفسه ويزيل ما يحس به من السآمة والملل أو التعب . ويعد اللعب للترويح عن النفس فى التربية الاسلامية هاما ومفيدا للطفل من النواحي العقلية والجسمية والخلقية . ولاعجب فقد نصح الغزالى أن يسمح للطفل باللعب اليسير لا باللعب الشاق بعد الانتهاء من دروسه لتجديد نشاطه بشرط ألا يتعب نفسه . فان منع الصبى من اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميئ قلبه ويبطل ذكائه وينقص عليه العيش (٢) .

(١) اقرا الاختبارات العقلية ومقاييس الذكاء ، فى الفصل الاول من الجزء الثانى من

كتاب (فى علم النفس) للمؤلف وشريكه .

(٢) الاحياء للغزالى ج ٢ ص ٦٨ .

وقد نادى العبدري بضرورة اللعب والترويح عن النفس للطفل بعد ساعات الدرس . ولهذا تجد في جميع المعاهد الاسلامية عطلة كل اسبوع من ظهر يوم الخميس الى نهاية يوم الجمعة وعطلة في الاجازة الصيفية وعيد الفطر وعيد الاضحى والمناسبات الدينية الاسلامية كأول السنة الهجرية ومولد النبي .

وقال الفزالي : وينبغي ان يؤذن له (للصبي) بعد الانصراف من الكتاب ان يلعب لعبا جميلا يستريح اليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب فان منع الصبي من اللعب وارهاقه بالتعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكائه وينقص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه راسا .. وهذا كله يطابق ماتطلبه التربية الحديثة اليوم .